العذاب لقيام الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا نفسيا مولما وهو عقوبة ما جرى منه في
الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الافعال التي تطرا بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب
على طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له وقد قرر ذلك الشارع حين رفعت امراة
اليه صلى الله عليه وسلم صبيا صغيرا وهو في الحج فقالت له يا رسول الله الهذا حج فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم له حج ولك اجر وذلك ان لها اجر المعونة التي لا يقدر الصبي عليها وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصبي اذا حج قبل بلوغ التكليف ثم مات قبل البلوغ كتب الله
له ذلك الحج عن فريضته وكذلك العبد اذا حج عبدا ثم مات قبل العتق وهذا الحديث وان
كان قد تكلم فيه من طريق اسناده فان الحديث الصحيح يعضده وقد ورد في الصحيح ان الله يقول
يوم القيمة في حق العبد ياتي بما فرض الله عليه ناقصا قد انتقص منها شيئا ان يكمل له من تطوعه
ما نقص من ذلك فقد اقام التطوع مقام الفرض وهو هذا بعينه لان حج غير المكلف به ليس هو
فرض عليه قال عليه السلم عن الله في الحديث الصحيح انه اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلوة
فيقول الله انظروا في صلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها
شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال
عليه السلم ثم توخذ الاعمال على ذاكم اي فيفعل في الزكوة والصوم والحج مثل ما فعل في الصلاة سواء
فلو لم يعتبر الشرع ذلك لم يحكم بهذا وكل ما يفعله الصبي في غير بلوغ زمان التكليف معتبر في الخير
وفي الشر غير معتبر ان الكرم الالهي جازاه بالخير المعمول في هذا الزمان في الدار الاخرة وادخر له
ذلك واما الشر فلم يدخر له في الاخرة منه شيا بل جازاه به في الدنيا من آلام حسية ونفسية
تطرا على الصبيان وهي موجودة لا يقدر احد على انكارها وهي عقوبات وعذاب لامور تطرا من
الصبيان يعرف هذا القدر اهل طريقنا حكمة او قفهم الحق عليها وهي في حق المومنين كما قلنا عذاب
اوجب لهم الكفارة وفي حق الكفار اذا ادركوا وماتوا وهم كفار وعوقبوا في الاخرة وقد كان عذبوا
في الدنيا وهم صغار مثل ما تعذب المومنون في حال صغرهم فذلك قوله تعالى زدناهم عذابا مطلب في معنى زدناهم عذابا فوق العذاب
فوق العذاب يعني الذي عذبوا به في الدنيا وما شا كل هذا فان هذه نص في تضاعف العذاب
على امر اتيا الذي هو واحد من ذاك ومن عذاب المومنين ما سلط الله عليهم من اصحاب الاهوا
والكفار من الاسر والعذاب والاسترقاق والقتل في الدنيا كل هذا تكفير لهفوات وزلات نفسية
وحسية على قدر ما وقع منهم وما يقع هذا من الكفار بالمومنين الا لاجل ايمانهم قال تعالى
يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا فان وما بعدها بتاويل المصدر كانه يقول يخرجون
الرسول من اجل ايمانكم وقال وما نقموا منهم الا ان يومنوا وعليه يخرج تخليد من قتل

مومنا

مومنا متعمدا اي قصد قتله لايمانه ومما يتضمن هذا المنزل علم الابتلاء وليس ذلك الا لله
قال تعالى ولنبلونكم وليس للمومن ان يبتلي المومن الا بامر الهي فيكون الابتلاء لله تعالى و
منه لا منهم مثل قوله تعالى فامتحنوهن فالله امر بذلك فامتثل العبد امر سيده كالسلطان يامر بعذاب
شخص فيتولى عذابه من امر بتعذيبه وان كان شفيقا عليه ولكن امر السلطان واجب ان يمتثل
للمرتبة لما تقتضيه من الهيبة فالابتلاء لا يكون الا لله وكل من ابتلى احدا من المومنين بغير امر الهي
فان الله يواخذه على ذلك وبهذا المقام انفرد الاسم الخبير وهو من اعجب احكام الاسماء لان الخبرة
انما جاءت لاستفادة علم المختبر وهنا في الجناب الالهي العلم محقق بما يكون من هذا المختبر فلا
يستفيد علما فيظهر انه لا حكم لهذا الاسم وكان الاولى به العبد لجهله بما يكون من المختبر و
العبد ممنوع من الاختبار الا بامر الهي فقد تسمى الله تعالى بما يستحقه العبد فحكمه في جناب العبد فائدة
العلم للمختبر في نفسه بهذا الاختبار لاقامة الحجة عليه وله فلهذا لا تلحق الخبير بصفة العلم كما الحقه
ابو حامد والاسفرايني واكثر الناس ولو كان كما زعموا لكان نقصا وانما اوقعهم في ذلك قوله
تعالى حتى نعلم وهو حجة عليهم ان كان الامر على ظاهره فان الاختبار سبب في تحصيل العلم ما
هو نفس العلم وبالخبرة سمي خبيرا فاذا حصل العلم سمي عالما في ذلك الحال وغاية من نزه مثل
ابن الخطيب وغيره في قوله حتى نعلم تعلق العلم بهذه الحالة وتعلق العلم يحدث ولا يودي الى
حدوث العلم فبقي العلم على حاله من الوصف بالقدم وان حدث التعلق هذا منتهى غايتهم
في التنزيه ويقولون لو تعلق العلم بما من شانه انه سيكون كائنا وقد كان فقد علم الشي على خلاف
ما هو به وكذلك لو علم ما هو كائن قد كان او سيكون او علم ما كان هو كائن او سيكون لكان
هذا كله جهلا والله يتعالى عن ذلك فادخلوا على الله الزمان من حيث لا يشعرون والتقدم في
الاشياء والتاخر وما علموا ان الله تعالى يشهد الاشياء ويعلمها على ما هي عليه في انفسها والازمنة
التي لها من جملة معلوماته مستلزمة لها واحوالها واماكنها ان كانت لها ومحالها ان كانت ممن
يطلب المحال واحيازها كل ذلك مشهود للحق في غير زمان لا يتصف بالتقدم ولا بالتاخر ولا بالان
الذي هو حد الزمانين ولهذا لم يرد مع قوله عليه السلم عن ربه كان الله ولا شي معه واتى
بحرف وجودية لا بفعل ولم يقل وهو الان فان الان نص في وجود الزمان فلو جعله ظرفا لهوية
الباري سبحانه لدخل تحت ظرفية الزمان بخلاف كان فانه لفظ كان من الكون وهو عين الوجود
فلانه قال الله موجود ولا شي معه في وجوده فما هي من الالفاظ التي يجر معها الزمان الا بحكم التوهم
ولهذا لا ينبغي ان يقال كان فعل ماض وقد بوب عليها الزجاجي وسماها بالحرف الذي ينصب الخبر
ويرفع الاسم ولم يجعلها فعلا فيجر معها الزمان الماضي والحال والمستقبل والقدر المتوهم

Copyright © King Saud University